سلسلة شهادات سورية 9

إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى

عمرو كيلاني

بيت المواطن
للنشر و التوزيع

إذا قفزت عن السياج ولم أُصب بأذى

عمرو كيلاني

إذا قفزت عن السياج ولم أُصب بأذى

سلسلة شهادات سورية -9- إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى
عمرو كيلاني

الإخراج الفني: فايز علام
لوحة الغلاف: Nejad Devrim
مصدر اللوحة: http://nejaddevrim.com/1
تصميم الغلاف: فادي العساف

الطبعة الأولى ـ 2014

ISBN: 978-9953-583-49-5

تمت طباعة هذا الكتاب بمساعدة من جمعية
«مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية مسبقة من الناشر ومقدماً.

الناشر:
بيت المواطن للنشر والتوزيع
دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
هاتف: 78840213 961+
بريد إلكتروني:
baitelmouwaten@gmail.com

التوزيع:
أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي
شارع الحمرا ـ بناء رسامني
ص.ب: 6435 / 113 بيروت ـ لبنان
هاتف: 750054 1 961 +
فاكس: 750053 1 961 +
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الناشر.

الإهداء

إلى من صرخوا: لسنا أبطالاً، كفُّوا عن نعتنا بالأبطالِ لتلقوا عن كاهلكم عناءَ موتنا اليوميِّ، نخشى أن نصدِّقكم، فنصبحَ آلهةً ويموت فينا الإنسان!

إلى من كان سلاحهم تعويذة الغناء والرقص يجابهون بها إيقاع الرَّصاص الرَّتيب.. إلى موسيقاهم التي من مقام «لا» الكبير!

لا يشبهون كلامهم

لا يشبهون كلامهم.
هم غيرهم في الأغنيات، وعندهم
زمنان لا زمنٌ وحيدٌ، يفرض المعنى
ويجبرهم على مدح الجراح.

يتهرّبون من اشتغال الآن فيهم، كي يكونوا
صورة الآتي، وصوت الأنبياء العالقينَ
وراء أبواب الصباح.

لا يؤمنون بما ينزُّ القلب من وجعٍ، ولا
بدمٍ تسيّلهُ أغاني أهلهم
إن أغمدتها الآه في رئة الرِّياح.

ورثوا الحنينَ إلى وجوهٍ لم يروا أبعادها،
وإلى إلهٍ لم يقل يوماً لهم: (ما حالكم؟)
وإلى بلادٍ في الخرائط، لا تُشَمُّ ولا تُذاقْ.

لا شيء يغريهم لكي يتقمَّصوهُ،
بلادُهم صارت منافي، أهلُهم
صمتٌ يسير على الطريقِ، نساؤهم
يلبسن منذ الموت وجه الذكرياتِ،
ولا نوافذ في السَّماء.

يتملَّصون من الحقيقة، والحقيقةُ سجنُ صاحبها،
ليبتعدوا عن التاريخ حين يفوح ممَّا حولهم
وعن اقتتال الأبجديَّات الطويل
على مساحات الهباء.

هم مثلنا، أبناء حزنٍ واحدٍ،
لكنهم ملُّوا من التّجوال في أسمائهم
فتخلّصوا منها، وساروا في الطريق إلى ملامحهم
عراةً،
يلبسون الموج علَّ الموج يجعلهم وصولا
يتعثرون بدمعةٍ، بأبٍ يفتّش
في ضروع الحاويات عن الحليب، بأمَّة
تستورد الشهداء والأمراء والكبريت، بالذهب
الذي ينمو ويزهر قبل موعدهِ، بشمسٍ
في زنازين الإلهِ، بطفلةٍ
ربطوا السَّلاسل حول فخذيها

برائحة البخور على قبور الأولياء
بما تقرِّره السَّماء من الحروب أو الدروب،
بكلّ أقنعة الهزيمة، وانتصار الخوف
في اللُّغة التي كانت خيولا.
يتوقفون،
وينظرون،
ويكملون طريقهم.
عميانٌ، يحملهم إلى أحلامهم حلمٌ يراودهم طويلا.

لا يكذبونْ.
لكنهم يتخيّلونْ.
ويصدِّقون خيالهم، حتَّى إذا أوحى بما لا يفهمون.

أحلامهم ليست عطايا الغيب واللّاوعي، بل
وعيٌ إلى ما ينقص الوقتَ المشوَّهَ من جمالْ.
وكلامهم ليس انتماءً، إنَّه
طيرٌ صغيرٌ في مهبِّ الاحتمالْ.

في برزخٍ،
بين انعتاقِ الرُّوح والأبد المسيَّج بالصَّنوبر يسكنونْ
يتوالدون من اشتهاء الذَّات في المرآة يوماً أن تكون
ويحلّقونَ، يسافرونَ، يعمّرونَ، ويكتبونَ، ويهرمونَ،

هناك في اللَّاوقت مثل الزيزفونْ.
حتى إذا جاء الرَّدى،
قالوا لهُ: كم مرةً، سنموت يا مجنون؟!

ماذا ستكتب؟

ماذا ستكتبُ، لو أتتكَ يمامةٌ
عندَ الصَّباح، وذكّرتكَ بأنّ يوماً صاخباً
آتٍ وراءَ هديلِها
وعليكَ أنْ
تصحو لتحملَهُ على
كتِفيْك، تحمِلهُ وتجري في الشوارعِ باحثاً
عن قمحِ دنياكَ الذي
ينمو سنابلَ في سماءِ نخيلها؟
ماذا ستكتبُ حينها،
والوقتُ لا يكفي لتنظرَ من نوافذِ
قلبكَ المهجور نحوَ قصيدةٍ
تعرى جهاراً في مياه صهيلها؟
ماذا ستكتبُ حينَ تكشفُ سرَّها أنثى أمامكْ.
وتقولُ خذني يا حبيبي ها أنا، فاتركْ منامكْ
ودَعِ الخَيالَ لعابدي أصنامِهِ رَبّاً ولا تعبدْ كلامكْ.
هذا تُرابي، جفّفتهُ الشّمسُ، أنجدني، غَمامَكْ.

أَجِّلْ مديحكَ للصّحاري، للتّلال البِيضِ،
للذَّهَبِ المُبعثَر في المدى.
وامدحْ، إذا صلّت ملائكةٌ علينا، نبضَنا
في حضن سيّدنا الردى.
ماذا ستكتبُ حينها؟
ماذا ستكتبُ، والقصيدةُ تستحي
من كشفِ عورتها على
مرأى من الغرباء في وضَحِ الندى؟

ماذا ستكتبُ، حين تخشى أن يرى
الكُفّارُ هذا القلب مصلوباً على جذعِ الكلامْ،
ويَرَوا دماءَك نازلاتٍ من أعالي الجُرحِ يحملهنّ
وحيٌ فوقَ أجنحة الحمامْ،
نحو البياضِ البكرِ في أرض النبوءةِ،
أرضِ أهلك، حيث ماتوا، واستطاعوا،
رفعَ سقفِ قبورهمْ أعلى، ليحرسها الغمامْ؟!

ويَرَوا صُراخَك ساحةً ممتدّةً، تعدو بها الآلامُ خيلا،
ويروا دموعكَ، ملحَكَ البشريَّ، يرْشح من مسامِك كلِّها،
ويسيلُ سيلا،
فيكذبّون الصُّبح في عينيكَ: «لنْ
نمشي على طرقات أغنيةٍ تسيرُ

بنا إلى معنىً سوانا»
فالجُمْ «أنا»كَ لكي تُسيّرها «أنا»نا!
هذا الدّمُ المسفوكُ ماءٌ
هذا الصّراخُ أخو الهباءْ
فانزِلْ، وكَسِّر سلَّم الكلمات، لا
تصعدْ عَلَى صُلبان غيرك ثانياً
لا أنبياءَ لِجُرحنا، لا أنبياءْ!

هوى

أنسى، إذا صَرَخت عُيونكِ فيَّ،
كُلَّ جِراحِ أهلي.
أنسى تشرُّدَ إخوتي
في غابةِ الماضي
وأوهامِ التَّجلّي.
أنسى هزائمنا،
انحسارَ الأرضِ عن أقدامنا
ورحيلَنا في الرّيحِ
منْ ذُلٍّ لذلّ.
أنسى سُلالاتٍ من الأحزانِ تنمو
مثل أعشاب القبورِ على كلامِ قصائدي
وعلى أغانٍ
عوّدتني السّيرَ في طرقاتها
وحدي بلا قمرٍ وظلٍّ.
أنسى غُموضَ بدايتي
ووضوحَ آخرتي، وأنسى أنّني

مازلتُ أحيا لا لأحيا،
بلْ لأُصلِحَ بين ما بعدي وقبلي.
أنسى أحاديثَ الرّفاقِ عنِ الحقيقة
والطّريقةِ في علاجِ الأرضِ
منْ حُمّى الجَدَلْ.
أنسى التّرابطَ بين أزهار الجمال
وبين رائحةِ الكسلْ.
أنسى المللْ،
في غرفة المكياج يخلقُ نفسهُ
من فتنةِ الألوانِ قدّيسا.
ليسير قربَ النّاسِ في كُلِّ الأزقّة
حاملاً للموتِ فانوسا.
أنسى انكسارَ الوالدين
إذا قفزتُ عن السياج
ولم أُصَبْ بأذىً وأعجبني انتصاري.
أنسى عيونهما تقول بحرقةٍ:
(أنتَ اشتراكُ خيالِنا،
فارجعْ لِتكْبُرَ مثلَ أشجارِ الحديقةِ،
ما سمعنا عن خياناتِ البذارِ).
أنسى ترانيمَ الغرامْ،
ما ترْجَمَتْهُ لغاتُنا
عن كلّ أشعارِ الحَمامْ:

(طيري، سأتبعُ ظلّكِ الماشي على صخرِ البراري
خانَتْ جناحيّ الرياحُ وبلّلَ الرّيشَ الغمامْ
طيري أُحِبُّكِ حُرّةً، مثلَ اعتقاداتِ الصِّغارِ
وأحبُّ حُبَّكِ كان شوكاً أم خزامْ.
في الحقلِ قمحٌ أخضرٌ، ولديَّ خمرٌ في جراري.
وأنا وحيدٌ بين جُدرانِ الكلامْ.
حُطّي إذاً، حُطّي على عُشِّ انتظاري.
وخذي يدي لننامَ في نفْسِ المنامْ)
أنسى جميعَ مشاعري في لحظةٍ
في لحظةٍ أنسى دواليبَ الزَّمانِ الهادِرة.
ويخونني في لحظةٍ جيشُ الصّدى
والذَّاكرة.
ليقول لي صوتُ الفراغِ الرَّحبِ حولي:
(كم أنتَ مثلي يا فتى، كم أنتَ مثلي!)

خالٍ من الأشياءِ لا معنىً لما حولي،
كأنّي آدمُ الأُمّيُّ لم
أتعلّم الأسماءَ بعدُ ولا الصّفاتْ.

بيضاءُ روحي، فارسمي بدمِ الذينَ قتلْتِهم قبلي،
ملامحَكِ التي أخْفيتِها عنهُم،
جمالَكِ حين تعرين اشتهاءً يا حياةْ.

بيضاءُ روحي فاحمليني واعصري ثدييكِ
في كأسي خموراً من فَرَحْ.
وَدَعِي الزَّمانَ يدورُ كالمجنونِ
في الطّرقاتِ يبحثُ عن بساطٍ غيرِ جلدي
كي يسيرَ إلى النهايةِ
خبئيني يا حياةٌ عن الزّمانِ
وأطلعيني مثلَ تلميذٍ على سرِّ البقاءْ.
بوحي بما أخفيْتِهِ عنّي وعنْهُمْ،
فسّري لي كيفَ يملؤكِ الهوى شَبَقاً
ويملؤني اشتهاءْ.
كم أنتِ أكملُ
حين يجعلكِ الهوى وجهاً وحيدا!
كم أنتِ أجملُ حين تشتعلين في صوتي نشيدا!
كم أنت أصفى الآنَ في هذا الجنونْ!
كُلُّ الذين تعلّقوا بغصونِ ذاكرتي الطريّةِ يسقُطُونْ
يتفتَّتونَ كأنّهم توتُ الشّوارع فوق أرصفةِ السّكونْ.
والقادمونْ
لا يُبصرونَ طريقَهم نحوي
لأنّي لم أعُدْ، جسداً تضيءُ به الظّنونْ.
بيضاءُ روحي، فاحمليني وارقصي
بي رقصَ صُوفيٍّ على بابِ الضّياعْ.
دوري لتختلطَ المكاناتُ الكثيرةُ بي

وتصبحَ روحيَ الأولى مَشَاغْ.
دوري لأصبحَ صخرةً
تبكي إذا جرحَ الغمامُ غرورَها.
دوري لأصبحَ زهرةً
تعوي إذا نسفَ الظّلامُ حضورَها.
دوري لأصبحَ نَجْمةً
بيضاءَ تُنجدُ من يراها.
دوري لأصبحَ لفظةً
تفنى ويبعثها صداها.
دوري لأختصرَ المسافة
بين أغنيتي وبيني.
لتصيرَ كُلُّ غمامةٍ أمّاً،
وكلُّ فراشةٍ لغةً،
وكلُّ قصيدةٍ وَطَنا.
لأشمّ عِطْرَ الموت، أختارُ الخلود نهاية،
وأخيط من كفَّيك لي كفنا.

إنّي أراكِ الآنَ تغتسلينَ من شَعَثِ الحكايا.
من قيدِ تاريخٍ يبيعُكِ في مزاداتِ الممالكِ كالسّبايا.
من إرثِ روما للقياصرةِ الصِّغارْ.
من فائضِ الدُّوَلِ الغنيّةِ بالأرَاضي
والسّماواتِ القريبةِ والبِحَارْ.

من أُمنياتِ القادمينْ.
من ذكرياتِ العابرينْ.
من كُلُّ شَيءٍ تخرجينْ.
تضعينَ أشكالَ الطّبيعةِ جانباً، وتطرّزينْ
جسداً كأجسادِ الذينْ
لم يولدوا من موتِهِمْ
أَسرى انتِمَاءاتٍ وطينْ.

وأظلُّ أهذي، لا يكوّنُ لي كلامي صورةَ المَعنى لأعبدَهُ.
يا ضائعاً بين احتمالاتِ الحقيقةِ
لن ترى أبداً نبيّاً يُمسكُ المعنى ويسجنهُ.
للحزن دمعته،
وللفرحِ المزلزلِ ضحكةٌ
تطفو على ماءِ الشفاهْ.
للخوفِ آثارُ الصَّهيلِ على الرّمَال
وللأمانِ مَمالكٌ تُبنى حدائِقها على كَفِّ الإلهْ.
كلُّ المشاعرِ عندَها لُغَةٌ تفسِّرُنا لنا
إلّا الهوى، فهوَ ارتباكُ دمائِنا.
هو عَجزُنا عن وصفهِ.
هو ذلك السِّرُ الشفيفُ، تَراهُ عينُ الآخرين بنا
ولا نقوى نراهْ.
وهو ازديادُ الرُّوحِ في الجسدِ القليلْ.

وهو ابتعادُ ذواتنا عنّا
ونِسيانٌ جميلٌ.
وهو النّباتاتُ التي تنمو بلا ثمر
على أرضِ الخيالِ المُهمَلةْ.
وهو اختباءُ كلامنا العاري بعيداً عن عيونِ الأسئلةْ.
هو شارعٌ لِبدايةٍ لا تنتهي
هو صوتُ شيءٍ غارقٍ في صَمْتِهِ
هو ثَوْرَةٌ
أو رُبّما هو حُفْرةٌ.
عبثاً نحاولُ وصفهُ
عبثاً نحاولُ فصلهُ عنّا
لِنَعرفَ ما لَهُ مِنّا
وما مِنّا لنا.
من أنتَ يا ملكَ الملوكِ ومن أنا،
في حَضْرَتكْ؟
حيّرتنا، فاظهرْ لنا،
ذابتْ قلوبُ الواقفينَ على مشارفِ معبدكْ.
اظهر لنا، حتَّى يكُفَّ خيالُنا عن صُنعِ أشكالٍ سِواكْ.
اظهر لنا بشراً، إلهاً، أو ملاكْ.
يا حُبُّ يقتلكَ الكلامُ السّهلُ عَنْكَ
كأنّكَ الرّوحُ التي لا ترتدي أحَدا
يا حُبُّ يقتلكَ التّشابهُ

في حكايا الأُمّهاتِ الذّاهباتِ إلى الصّدى.
يا حُبُّ تقتلك الرَّياضيَّاتُ والوقتُ الثّمينُ
وشهوةٌ لسواك تحتلُّ المدى.
يا حُبُّ تحييك الليالي في بريقٍ
شَعَّ من جَسدينِ يُحتَضران سِرّا.
يا حُبُّ تُحييك الشُّعوبُ إذا نَسَت أدوارها
ومَضَت إليك تُعمّرُ الأحلامَ جِسرا.
يا حُبُّ يا ضيفاً مزاجيَّ الحنينْ.
تأتي فتشغلنا عن الحزنِ الذي يَجتاحُنا،
و تغيبُ أعواماً فنلهث باحثينْ
عن طعمكَ المملوءِ تفّاحاً وتينْ.
لا تنسنا يا حبُّ ولتهجم كوحش فجأةً
عجّل حضوركَ
علّنا نُنهي جَميعَ الواجِبَاتْ.
ونُعِدُّ ديكوراً جديداً
كي تَليق بنا الحياة.

من أغاني الضَّياع

كبِرنا. لم يعد يعدو الزّمانُ
دون أن نُصغي
إلى خطواتهِ تخزُ الحصى من حولنا،
صوتُ الحصى، صوتُ انبثاقِ الحسِّ،
صوتُ الصَّوت، يرشح من شقوق الصَّمتِ
حينَ يضيقُ بالألمِ.

كبرنا.
كانتِ الأشياءُ عاريةً،
وكُنّا مثلها نحيا، بلا أسماءَ تُخفينا
وتختزل المدى السرّيَّ فينا، في
حروفٍ كالزنازين التي تكسو الوجودَ
ملابسَ العدَمِ.

ولمْ تعدِ الحياةُ كما أردناها،
مكاناً لاحتضان جنوننا. كُنّا

وكانَ الغيبُ يسبِقُنا،
ويَشغلُ أهلنا دوماً،
يروّضنا، ويجعلنا جنود الخوفِ، يمنَعُنا
من التَّصديق أنّ بنا، شياطيناً تُشابهنا،
تدقُّ الرُّوحَ، ترقصُ في خلايانا،
تحاولُ أن تُحرّك صخرةَ الفزعِ التي سدّتْ
كهوفَ الذَّاتِ، جاعلةً
أمانينا صُراخاً في مدى الصّممِ.

تشقّقَ كُلُّ ما حاكَتْ
لنا أيدي القداسةِ، عندما فُتحتْ
نوافذنا على الجيرانِ وارتطمتْ
مشاعرنا بأنثى اللَّحظةِ الأولى.
تُجرّب عُريها سرّاً، وتوقظُ حلمَتيها من
سُباتٍ طالَ، تتعبُ من مصارعةِ الخيالِ،
فترتمي أرضاً، وتُغمضَ للسَّماءِ عيونَها
لتطير شهوتُها، فراشاتٍ تُعانقنا
وتحملنا إلى أعلى، على درجٍ من النَّغمِ.

وأصبحَ يومُنا غدَنا وماضينا معاً،
ما علّمتنا الرّيحُ شيئاً، نحنُ وادي كلِّ سيلٍ،
حين تأتي من سُعال الشّرقِ توجعنا

وحين تهبُّ من ضجر الغروبِ تُحيلنا موتى
فنبكي: (أيُّنا خِلْوٌ من النَّدمِ!)

كبرنا بدون أن ندري،
فلمّا سال فينا الماءُ كالمرآةِ، سِلنا في
أواني الشكلِ، صارَ الخارجُ المحدودُ داخِلنا
وفرَّ الداخل الممتدُّ حتى صار ضالّتنا
ولم نُدركْ خطيئتنا،
قتلنا السرَّ والمعنى.
وأضحى البحثُ عن معنى
هو المعنى.
نشدُّ الضّوءَ من أطرافِ حاضرنا
إلى مافاتَنا. نجري
ونلهثُ كالمجانينِ ابتغاء بدايةٍ بدأتْ
نشدّ الضوءَ أكثرَ، يفتحُ التّاريخُ فاهُ،
فنلمحُ القتْلى، جماعاتٍ
يواسي بعضُهم بعضاً. فنهمسُ:
(إنه الموتُ البدايةُ، إنّهُ
السرّ الذي نهذي بهِ
منهُ الحياةُ تشعُّ، من مللٍ، وتمضي
ثُمَّ حين تملُّ ثانيةً تعودُ إليهِ مثلَ صدى).
نشدُّ الضوءَ أكثرَ، يطْلُعُ القتَلةْ

فتسري خيبةٌ فينا:
(إذاً، أخذُ الحياةِ هو الحياةُ،
هو البدايةُ حين تبدأُ من نهايةِ ضدّنا
لتكونَ شكلاً واحداً أحَدَا).
نشدُّ الضوءَ أكثرَ، لا نرى أحداً
نصيحُ: (ألا يُفسّرنا هُنا أحدٌ،
لنحيا سالمينَ منَ الشكوك ومن توقّدها بنا؟)،
يصحو إلهٌ غاضباً: (يا أشقياءُ، تعلّموا أن تحلُموا
لا تبحثوا عنِّي، لئلَّا تختفي
أحلامكم فيكم، ولا تتقرَّبوا منِّي
فلن أسقي ورودي من دمائِكُمُ، ارجعوا
من حيثُ جِئْتُمْ، وابدؤوا من نفسكم، تلك البدايةُ، واولدوا
من ليس يولدُ مرَّتينِ، فلنْ يكونْ)!

خيالُ الظلّ

ـ ألا يحلم الظِّلُّ يا صاحبي؟
ـ بلى،
حين يخلو الإله إلى نفسهِ
وتخلو الحياةُ إلى نفسها
ويُترَك هذا المدى للظَّلامْ
يَظلُّ وحيداً،
يُفتّش عن نفسهِ في المعاني
ويرفعُ جثّته كالأغاني
رويداً
رويداً
لتعلو على ما علا من رُكامْ.

ينفّضُ رائحة الآخرين الكريهةَ عنها
وينزعُ ذاكرةً قد تحرَّر منها
ويفركها جيداً بالندى والخزامْ.

هو الآن ما يشتهي،
لا، كما كان، ما يُشتهى
عيونٌ تجوعُ إلى ما سيأتي
وقلبٌ تخلّص مما انتهى
وروحٌ بلا جسدٍ أو مُقامْ.

ـ وماذا يرى يا ترى في المنامْ؟
ـ يرى الأرض تنفثهُ من خلال الصخورْ
دماً جامداً يبّسته العصورْ
تقول: ارتفع يا بنيَّ ارتفع،
قد هوى من علاك
أتى زمنٌ آخرٌ يشتهي أن يراك
تلفّتْ، أمامك هذا المدى
لوحةٌ ناقصة، وخلفكَ خالٍ،
عناكبُ تنسجُ ثوب البياضِ
على مُقل الردى الشاخصة.
فقم وانتثر يا بني، انتثر في الجهاتْ
فما عدت مسخاً
تلوّحه الريح بين الحياة وبين المماتْ.

يحرّك طاحونة العمرِ الواقفة.
وتقلب ساعةَ رملِ الحياةِ أصابعُهُ الخائفة

ليجري الزمانْ
قطيعاً من الخيل فوق المكانْ.
فيعرف أنَّ الذي كان يعرفُهُ، لم يكن يعرفهْ
وأنَّ الذي ظنَّه غيره، يشبههْ
وصار يرى دمهُ،
حين يُطعنُ في الخاصرة،
دوائرَ تولد في ذاتها،
وتوغلُ دائرةً دائرةْ.

وصارت له لغةٌ،
لملمتها يداهُ من الطُّرق المهملة.
ومن حيرة الواقفين
وحيدينَ في ظلمة الأسئلة.

وصارت تعذِّبه صرخة الخائفينْ
وتوجعه، حين تكسر أضلاعه
أرجل الفاتحينْ
وصار له صوته، حين يحلبه من ضروعٍ عميقةْ
يعرِّف عن نفسه للبراري: أنا، لا سواي الحقيقةْ

يرى أنه صار شكلاً
وصارت لأنفاسه حصّةٌ في الهواءْ

يرى كل شيءٍ أحنَّ وأحلى
وأصدق من نجمةٍ في العراءْ

تعلِّمه القبّرات الغناء
وتلبسه دودة القزّ
أثواب أبنائها في الشتاء
تُعرّي له الرِّيحُ أجسادها عن حكايا طويلة
ويشكو له الكون أحلامه المستحيلة
ويبكي السَّحاب
على أرض راحته القاحلة
وتعوي الكلاب
فيصحو، على ضجَّة اللَّيلة الراحلةْ.

ـ وماذا؟ وماذا يرى بعد هذا؟
ـ يرى الضَّوء يدهنُ وجه الحياةْ
بألوانه الفاقعةْ
ويهمي لتشربه الكائناتْ
فتوقظها الطَّعمة اللَّاذعةْ
لقد عاد كلٌّ الى عملهْ
وعاد الإله إلى مللهْ
وعادت إلى شغلها الأبدي الظِّلالُ
تطمئنُ أسيادها أنهم لم يزالوا

وأسكتُ، يسكتُ،
نمشي ونكمل درب الأبدْ
أنا وصديقي ومن تحتنا لا أحد.

للموتِ أشكالٌ كثيرة

للموتِ أشكالٌ كثيرةْ
منها الحنينُ إلى الحياةِ
وأنت فيها راكدٌ مثل الظّهيرةْ.
منها اليقينُ بوهمِ أنَّ هناكَ معنىً،
خلفَ لا معنى أثارَ بنا الجمالَ وأدهش الرُّوح الفقيرةْ
منها اكتفاءُ الظِّل بالأرض اليباب، وبالخراب
وخوفه من شكلهِ: من أن يصيرهْ.
منها انشغالكَ عنكَ في مهنٍ حقيرةْ.
والانتظارِ ليصنعَ الوقتُ الأماني بينما تبقى أسيرهْ.
منها رجوعكَ دائماً، مهما ادّعيتَ الابتعادَ، إلى العشيرةْ.
والاقتناعُ بأنَّ ألحان الرَّتابةِ محضُ ألحانٍ مثيرةْ.
منها التَّوقُّفُ عن لحاقِ القلبِ والإصغاءِ للعقلِ المكبّل بالضَّرورةْ.
وتتبُّع الآثارِ لا صُنعُ الجهاتِ على ربا الأفقِ الكثيرةْ.
للموتِ أشكالٌ كثيرةْ
ما ليس منها أنْ تباغتك النِّهايةُ
حينَ تسعى للبداياتِ الأخيرةْ.

الكلّ يعرف من أنا

إلى عمار عيروطة

ما زلتُ حتى الآن أجفلُ
حين ألمحُ في انعكاسٍ ما
ملامحيَ القديمةَ،
إذ يذكّرني الوميض
بأنني الوقت الذي لا ينتهي،
إلا لينهي ما توهّج فيه ممّا حولهُ،
الوقت الذي سيقول قبل فنائه:
هل كنتُ مَنْ قد كنتُه أم كنت حيرته الأليمةَ؟
ها أنا، حلمٌ يُري أمي حقيقتها،
ينير أقاصيَ المعنى بلا قصدٍ،
ويخجلُ بعد هذا أن يقول: استيقظي!
وأنا انتقامُ أبي من الزّمن الذي
ألغى التآلف بين ضدّيه: الأنا وغيابِها.
أنا ضدّه. لكنني الضدّ الذي ما كانهُ!

وأنا خيالُ حبيبتي عنّي، أحايلهُ ليشبهني،
فيستعصي، وأستعصي.
أنا فخٌّ قديمٌ، في حكايات العدوّ السرمديّةِ،
معبرٌ لا بدّ للخلّان منهُ، لِمسّ فرو النرجسيةِ،
قطعةٌ بفسيفساء الظلِّ،
ظلِّ القادة المتجددينَ،
وليس إلا بعض حاجات الغريزة في عيون البائعينَ،
الكلّ يعرف من أنا
إلا أنا،
ما زلتُ حتى الآن أجفل
حين ألمح في انعكاسٍ ما ملامحي القديمة.

وارث الجرح

على شارعٍ غامضٍ كالمساء
أسير وأشعل قلبي شموعا
أسير وأمسك خيط النّداء
بأسنان روحي لكي لا أضيعا
أسير وحيداً
دليلي كلام الإله الوحيدِ
أغني النشيدا
نشيد الشُّرودِ
فلا أنبياء هنا في الزِّحامْ
يشدّون نجماً لعشّ الحمامْ
ومنذ زمانٍ بعيد بعيدِ
تصحَّر بطن الغمام الولودِ
فجفّت حكايات جدّي وماتْ
لأن الطّيور التي هاجرته
تفضِّل قمح الكفاف على واحة الذكرياتْ.

أسير وحيداً
أخبّئ عطري وأُخفي خُطاي
لأني أكذّب آثار غيري
وأتبع صوتاً أتى من دمايْ.

أصدّق أغنية العائدين
من الحرب في اللّيلة الحالكة.
أكذّب أغنية الذّاهبين
إلى الحرب من أسرةٍ مالكة.

أصدّق عطر قرنفلةٍ ساهرةْ
أكذّب عطر عشيقتيَ العابرةْ

أصدّق أحلام كل العبيدْ
أكذّب ضوء البحار البعيدْ

ولا أقتفي شعلةً
من تراب الرّسولِ
لأعبد عجلا
ولا قمراً ميّتاً في الحقولِ
لأنسج ظلا
ولكنْ أصلّي

أصلّي لكي يلد الجرحُ لي إخوةً آخرينا
يداوون قلبي فأنسى الأنينا
ويمشون قربي فأمشي سنينا
إلى أن أراني هناك
أنادم نخلاً وأنغام نايٍ
وأنظر نحوَ مرايا رؤاي
فأسأل نفسي:
تُراني أنا من هنا أم سواي؟
أنا أنجبتني مساءاتُ أهلي
كلاماً خفيفاً ضعيفَ الصّدى
فكنتُ انتظاراً لشمس الغيابْ
وكنت انتهاءً لعصر السّرابْ
وكنت اشتياقَ السّنا للمدى.

أنا عبدُ هذا الزّمان القبيح
سباني صغيرا
أبي كان أقوى الرّجالِ
وكان أسيرا
يقصُّ جناحات أحلامه في الشتاءْ
ويزرعها خلسةً فوق ظهري.
يعلّمني أنَّ هذي السَّماءْ
لكلِّ الذين استطاعوا الغناءْ

ولمَّا شدوتُ وصرتُ كبيرا
رجاني لأبقى، وأحرس عشّي،
وألّا أطيرا.

أنا وارث الجّرحِ
أغذيه دمعي و دمّي ليكبرْ
وأملك نفسي وخبزي وشعري
ولا شيء أكثرْ
وأحفر مجرىً جديداً لنهري
ولا شيء أكثرْ
وأعصر خمري بكفّي لئلَّا
أرى وحي غيري وأسكرْ
وأعبد ربّاً يسمّى الأملْ
وحين أنامُ
أدندن آيات سفر العملْ
ولدنا لنصنع هذي الحياة
ولدنا لنؤمن بالمعجزاتْ.

الأعمى

قتلتكَ واستراح الوحشُ فيَّ،
وها أنا
أرنو إليكَ وأنت ملقىً
مثلَ لاشيءٍ أمامي.

قتلتك يا عدوّ حكايتي، وغداً
تمجّدُني الحكايةُ حين تجمعني إلى أبطالها،
وغداً تمجّدك الحكايةُ،
أنت أيضاً صرت من شهدائها
ويعيشُ زوّارُ الحياةِ القادمون حياتهم،
أسرى كلامكَ أو كلامي.

قتلتكَ كي أُنظّفَ داخلي ممّا
تراكمَ منكَ، لم يحدثْ
كلامٌ بيننا غيرُ الرصاصةِ،
لم أقف حتَّى أرى،

هل أنت حقاً من عرفتُكَ
دون أن ألقاكَ يوماً؟
هل تُشابهُ مَنْ رسمْتُ أنا،
ملامحه المخيفة في خيالي؟

عندما دوّى صُراخُك،
أصغت الأرض العجولةُ
لحظةً، وصحوتُ
كنتَ تموت لمّا كنتُ أحيا
ولمّا كنتَ تغفو، كنتُ أصفو
كنتَ ترحلُ، كنتُ آتي
من أقاصي وحدتي
متأخّراً لأراك سيَّجت المسافةَ بيننا
حتى تعاقبني على بطءِ اكتمالي.

وأجثو مثل منهزمٍ،
وينهكني اكتشافك،
كلُّ حقدي زال لمَّا سالَ منكَ دمٌ،
وضخَّ اللّونَ في عينيَّ،
صرتُ أرى، وأعرف كم تشابهني.

أمسّدُ شَعرك الرطب النديَّ،

أكاد أقولُ: (قُم حتى نعود إلى البداية يا أخي)
ولكنِّي أذكِّر نفسي الثَّكلى
بأنِّي قد قتلتك وانتهيت
أنا وأنت إلى الزَّوالِ
تُحرّرني، وتلعنني
فيالصرامة الموتى!
ويا لكَ من نبيٍّ،
يا مخلّصيَ الذي أخذَ الخطيئةَ، ثم ألقى فيَّ آفاتِ السؤالِ!

لزوم ما يلزم

حتَّى ترى
ما لا يُرى
أغمض عيونك جيِّداً
واغسل يديك بماء قلبك واعتنق
دين اليمام

حتَّى تحاور زهرةً
عطّر لسانك أوَّلاً
ثم اقتلع شوك الكنايةِ
من تفاصيل الكلام

حتَّى تعمّر نخلة الحلمِ القديمِ
ارسم هلالاً في هدوءِ تأمُّلاتك
واسقهِ دمك المشعَّ ولا تمتْ
قبل اكتمال بريقه،
سيكون ذكراك المضيئةَ في الظلامْ

حتَّى تغني للطَّبيعة
في صباحٍ لائقٍ بالأغنياتْ.
احلف لأحفاد البلابل أن تصون القافية
واضمن لهم حفظ المقامْ .

حتَّى تحب وتكتب الأنثى بلا
خطأٍ على ورقِ الزَّمان
كن آخر الأرباب يا ذكر السراب
حطّم عروش الزَّيف واخلع عنك تيجان الضَّباب
المس قليلاً روحك الأخرى
لتولد من جديدٍ عودَ فلٍّ أو خزام.

حتَّى تشارك في حروب البحث عنكْ،
قبّل يدي أبويك واحضن زوجك الحبلى
وقل للطِّفلِ في أحشائها:
نحن البداية يا بنيَّ لما نريد
نحن النهاية يا بنيَّ لما نريد
نحن الغطاريف العظام
ونحن أرذال العبيد
نحن الحرير تدوسه قدم الملوك
ونحن أشواك الحديد
نحن انعكاسٌ للرؤى

في مشهد العهد القديم
ومشهد العهد الجديد
فاحذر من الخوض المبرمج
في حروب الرَّبِّ
واحلم بالسَّلام
إنَّ الضياع ضياعك اليومي في دمك الرخيص
ليس الضياع ضياع حقدٍ وانتقام

حتَّى تموت كما يليق بعاشقٍ
جِدْ حيّزاً في أرضك الأولى ونمْ
قرب استدارة نهدها،
قل للملاك، إذا أتاكْ
لم أرتكب إلا الغرام.

حتَّى تفسّر شاعراً
لا بدّ من لغةٍ أقلَّ توتراً
في ما ستحمله المعاني
من حلالٍ أو حرامْ.

حلم مقطوع

تصحو فتدهشها الحياةُ مجدداً
وكأنّما للمرة الأولى يشكّلها الغياب على وجود طازجٍ
جسداً يجمّع روحه بعيونهِ
من ألفة الأشياء في الصمتِ الإلهْ.
لا توجع الجسد الذي اختلطت بهِ، لكنّها
وبخفّة النشّال تسرق سرّها مني
وتنزل كالحرير عن السرير لكي أعود أنا أنا
وتعود من حيث ابتدى مشوارنا
أحداً يفتّش في صحاري العمر عن أحدٍ سواهْ.

لا تأخذ الأحلام،
تتركها وتتركني لأنمو في السراب حقيقةً
لا شيء ينقضها سوى ملل التجدد،
حيث يبتدئ التكامل حين يبلغ منتهاه

تمضي إلى المرآة،

تمحو صورة البنت التي شكّلتها بيديّ أول ليلنا
وتصنّع البنت التي تحتاجها الشركاتُ
ثم تغيب خلف الباب، تغلقه
فيلتئم الفراغ على وجودي مثلما التأمت جراحات المياهْ

أصحو
وأعرف أنني أصحو،
وأعرف أنها ذهبت،
وأعرف أنها ستعود يوماً ما لنكمل حلمنا.
سيدلّها مللٌ عليَّ من الحياة،
لكي نموت مجدداً
في هدأةٍ لا شيء يُسمع في مداها
غير أنفاسِ الإله.

لحبيبتي

لحبيبتي
ضحكت زهور المشمش العفويِّ وانساب الندى.
لحبيبتي
نظم اليمام قصائداً، في شرفة الفجر الخجولِ و أنشدا.
لحبيبتي
قمرٌ يضيء لكي أرى
وقتَ اكتمال الحب بدراً هائجاً
يطغى على كسلِ الحروفِ و يستبيح ذرا المدى.
لحبيبتي
هوسٌ بترتيب الأماكن في نهايات الشتاء.
لنسير من حُلمٍ ضبابي إلى،
حُلُمٍ ربيعي الملامح واضح،
نلقي الخيالات الضعيفة جانباً،
حتى نجرّب طعمنا،
طعمَ الرجوع إلى غيابٍ كالردى.

لحبيبتي
شفتان تخترعان لفظاً آخراً للمفرداتْ
لفظاً بعيداً عن رتابة لفظنا
لفظاً يُعبَّدُ دربه للقلب دون مشقّةٍ
و يضيع فيه فلا يعودُ له صدى.
لحبيبتي
خصرٌ يسيل على الحريرْ
يُضفي عليهِ جمالهُ،
يتشرّب اللحن المعتّق في الوترْ،
خمراً يحوّل صمتهُ عبثيةً موزونةً،
وحشاً يصارعني ويقتلني سدى.
لحبيبتي ما ليس لي
قلبٌ نظيفٌ من أساطير الزمان المستحيل،
لم يكترث يوماً بإنكيدو ولا،
جلجامش الحلم البعيدْ،
لم ينتبه لعذاب سيزيف الطويلْ،
قلب ينظّف نفسهُ من أمسهِ،
ويبيحُ للآتي احتلال الذاكرةْ،
«سأعيش» ـ قالت مرةً،
«إن شئت متْ، لكنني
سأظل فيك علامةً
ليد الحياة النافرة،
إن الحياة جميلةٌ فاتبع خطايْ

واهجرْ رؤاكَ إلى رؤايْ:
كل الوجوهِ جميلةٌ،
إلا التي لبست قناعا،
كل البحار بريئةٌ،
إلا التي هتكت شراعا،
كل الدموع نظيفةٌ،
إلا التي انهمرت خداعا،
و أنا أحبكَ هكذا،
لا دخل لي بالاحتقان المرّ للتاريخ في أجسادنا.
لا دخل لي فيما تعمره النوايا في ربا أسمائنا.
غرناطةٌ ليست لنا
هذي أنا.
فاسكن دمي، و تقمّص الفرح المخبّأَ لحظةً
لنكون فرداً واحدا».

فرصة لفهم النفس

قال: صفهُ لي!

أجاب: ليتني كنتُ شاعراً، لكنَّني لم أفهم كيف حدث هذا في غفلةٍ من الزَّمان! في منطقةِ الهدنة العلنيةِ بين الصَّيف والشِّتاء، كيف يشتعل الأخضر بلا إذن؟

ـ لا يهمُّ أن تفهم، المهمُّ أن تربط اللُّغة الشَّاردة بالصُّورة المسجونة في عينيكَ، وتتعب، لتحملنا إليها بلا عناء.

ـ ربَّما هذا صحيح، لأنَّ الشُّعراء لا يقولون ما يفهمون، إنهم يرون ويقولون، ويفهمون فيما بعد ما قالوا، وإذا قالوا يوماً ما ما فهموا، فهذا يعني أنهم قد فقدوا مهنتهم وتحوّلوا إلى أنبياء.

ـ بم تهذي؟

ـ نعم، والأنبياءُ كلُّ الأنبياء متهمون بالجنون، ولعلَّ هذا هو الفرق الأهمُّ بين الشَّاعر والنَّبيِّ، بين المدرَك واللا مدرَك.

ـ هل يعني أنَّ العقل ابن الوحي أم العكس؟

ـ لا شبه بينهما، لو كان العقل والوحي شيئاً واحداً، لتغيَّرتِ الصُّورة، فالشُّعراء لا يكترثون بالتَّوتُّر اللَّفظيِّ القائم دائماً بين الإلهيِّ واللا إلهيِّ، وما يقوله الأنبياء من الوحي هو تفسيرُ الآلهة لنفسها وتفسيرهم لها، أمَّا ما يقوله الشُّعراء فهو تماماً رفضهم لتفسير الآلهة وعجزهم

عن تفسير أنفسهم، النَّبيُّ حفنةٌ من ترابٍ مقدَّسٍ، والشَّاعر حفنةٌ من ترابٍ ملوَّثٍ بالأسئلةِ الصَّعبة، النَّبيُّ كائنٌ منَ العدمِ، والشَّاعرُ كائنٌ من قراءة دقيقةٍ لهذا العدم الضاج بالوجود، النَّبيُّ له الجنان دون أسئلة، أما الشاعر فيقف طويلاً في منطقةٍ وسطى، بينَ الأخضرِ والرَّماديِّ، قبل أن يعرف مصيرهُ، إن كان عليه أن يعرفه. في هذه الفترةِ يعرف أجوبةَ تساؤلاتهِ المعجونةِ فيه والتي تؤرِّقه ليل نهار.

ـ وبعد ذلك؟

ـ لا أعرفُ، لست إلهاً، لأوزِّع الأبديَّة الخضراء أو الرَّماديَّة على أحد، لو كنت إلهاً، إذاً لما كتبتُ ما كتبتُ، لأقول للمتألهِّين: أنتم أصغر من أن توزِّعوا الأدوار على الناس، أنتم لا تدركون معنى الأخضر والرَّماديَّ، لأنكم لم تولدوا إلا من ثباتِ اللّون.

هذا الذي أظنه أنا

هذا الذي أظنه أنا،
الذي لا يظنني هو،
أو أحداً آخر،
لا يرعوي.
وقحٌ،
كشمس بيتٍ بلا ستائر،
لا يجاملني لأني شكله،
بل يصيح بي،
سِرْ ولا تحرن كثيراً يا حماري.
متذمر دوماً،
وثرثارٌ.
أفرّ منه إلى أوركسترا
فأراه المايسترو، يلوح للعازفين.
أهرب إلى كتاب منه
فأراه يشرح رافعاً رجليه على الطاولة.
أيأس، أوغل فيه،

فتنتشلني زمامير السيارات
التي كادت تصدمني،
فيقهقه،
سِرْ بي دون أن تسهو عن الآن،
لئلا تسخر منك النوارس
والريح،
ورائحة عطر الليل،
لئلا تضحك الأشجار منك
وهي تضع أياديها على أفواهها
كالفلاحات اللواتي
يضحكن من عناية الرجل المرتب في الحقل.
هي لا تراني بل تراك.
سِرْ بي إلى زمن جديد
أخلعك عند عتباته حين تتعب،
وأواصل دونك.
لكنني سأعترف لك،
بلؤم لامٍ لا تؤرقه الضرورات،
قد أحملك ذكرى،
وقد أتركك لنهر لا يعرف ما يحمل،
لقد كنت عينيّ الواسعتين،
هذا كل شيء،
أما أنا فقد كنت الذي أُعجب بالبنت التي أحببتَها،

والذي كره الفتاة التي ظننتَ أنك كرهتها،
أنا سمّيتك حين أخبرت أباك،
أن اسم شاعر قتل ملكاً لائق بابنك،
وأنا أقنعتك، لا تقتل ولو نملة.
من أنت؟ أنا.
من أنا؟ أنت، حكاية أحملها في جعبتي مع الحكايا، وأسير.

ميثوس

إن تغيّر الحس
وكره الشعراء الصليب،
لن يعود الضحية بطلاً،
ولا البكاء عليه صكَّ نقاء وطهر،
ولصارت الحكايا،
مثل مياه السقاية في الحقل،
متوثبةً تلهث ككلب مدرب،
تهز ذيلها جاهزة لتجري
حيث يشق لها الفلاحون الدروب.

عُمَر

بالقرب من أسماء المدن والقرى،
المحفورة على جدار الزنزانة،
حمص،
الصنمين،
إدلب،
دوما،
كان عُمَر، الحشّاش النزق
الذي قتل رجل أمن،
منهمكاً بحفر اسمه.

موتى

أولئك المرهفون،
الذين تزعجهم قرقعة الصحون
والكؤوس والملاعق والحروب،
وصراخ الرضّع في الثالثة فجراً،
والنحيب،
وعواء كلب منتشٍ بالليل،
وقهقهات الجلادين،
وصراخ زوجة في زوجها أو العكس،
والهتاف،
مصباح الشرفة الوحيدة المضاءة،
عتمة الشرفة الوحيدة المظلمة،
أبواب الزنازين،
وصريرها،
الشتيمة
والشخير
والغناء النشاز،

ليسوا أنانيين أبداً،
لذلك ينبشون التاريخ،
كي يقنعوكم،
كي يبرهنوا لكم التّشابه،
ويدلّوكم على السّكينة،
كي يؤكدوا،
أن إسماعيل هو إسحاق
وأن حواء هي هِيفا
وأن يوحنا هو يحيى.

روائح

بعض القصائد
تفوحُ منه رائحةُ العفن،
بعضها الآخر
تفوح منه رائحة دماء زنخة،
لبعضها
رائحة الشمس في الثياب المنسية على
حبال الغسيل،
ولأخرى
ما يتركه اللعاب الجافّ على الرقبة
من الليلة السابقة،
أحياناً، ما يتسلل إلى فراشك من دخان السيارة
في صباح باكر صامت.
خبز وسمك وبشر وخضار فاسدة،
أو بارود،
أو قرنفل،
أو ماء،

ولا رائحة أحياناً،
وأحياناً رائحتكِ،
أما أنتِ فدائماً تفوحُ منك رائحةُ القصيدة.

تعريف

لاتسأل الشجرة، ما أنت؟
بدلاً من هذا، راقبها بطَرَف العين.
افعل كما تفعل الشجرة.

وحدة

اهدأ،
لا تتلفّت،
لا تخف،
ولا ترتبك،
إن سمعت فجأة،
ضربات قلب عميقة الصدى
تذكّر أنك وحدك
وهذا كل ما في الأمر.

أخيراً تركوا له المدينة

لم يكن أحد غيره،
يسمع دوي الرعد الهائل،
وهو عائد،
ببطء تحت المطر.
لمّا تفحص البريد،
جرحته ورقة الرسالة الحادة،
فتمنى لو أنها قربه،
ليضحكا معاً،
مما يمكن أن تفعله الهشاشة.
وحين كان يغسل طبق عشائه وحيداً،
كان يفكر،
لو أن أحداً ما يراقبه،
كان يجلس،
ولو صامتاً،
على الكرسي الخالي في زاوية الغرفة.
حين انتهى،

تأمل الليل من شرفته،
لم يتذكّر أحداً،
أخيراً نام الجميع،
وتركوا له المدينة.

أقول أحبك، فترتاب

الذي صدّق الحكايا،
لا خُلاصاتها،
لم يرد أن يصبح نبياً،
ولكن تمنى أن له براقاً،
يطوفُ به العالمَ في غمضة عين.
ولم يرعوِ،
بل حسد إسافاً، واشتهى نائلة،
أسلافَه المعبودين.
صار الخيال حياةً،
لا عكّازاً،
أو لطخةَ ماكياج ضروريّةً للحياة.
يقولُ،
هو الطفلُ الذي كان يبكي
حين يسمع أمه تدندن بفرحٍ
أغاني حزينةَ،
لو تعلّم الحبارى الكلامَ،

لقالَ لأنثاه: أحبّك!

ولم يعد الرقص لغة.

ولكني أقول للبنت التي أُحبها فجأة:

أحبك!

فترتاب.

ثم يستدرك،

من يدري،

ربما حتى لو تعلمتْ أنثاهُ الكلام،

لما أعجبها سوى المجاز!

كم يخفي الكلام!

هل كان ثمة طريق،
حيث سرنا من المقهى
إلى البيت؟
لا أتذكر أني رأيت السناجب
التي تقضم ثمار البلوط
بأياديها الصغيرة وهي تراقب المارة،
ولا أني، كعادتي، ارتعبت من الشاحنات
التي تشبه عمالقة بملامح صلبة،
إشارات المرور لم تكن،
وخطوط المشاة أيضاً،
ولا أجراس القطار،
أو لوحات الإعلانات الضخمة،
وعربات الهوت دوغ.
الآن،
الآن فقط،

حين بدا جسدكِ،
لغةً أخرى،
انتبهتُ،
كم يُخفي الكلامْ!

صار الكلام حيواناً صغيراً

الأشجارُ هادئةٌ،
تتملّى نفسها في النهر.
أصوات بشر بعيدين،
تتناهى قربنا.
حتى أنتِ،
صار الكلام،
حيواناً صغيراً،
يولد للتوّ،
حارّاً،
وعارياً،
بين يديك.

كل شيء يحكي

كل شيء يحكي،
الوشوم،
الأبنية العالية،
الساكسفون على الرصيف،
الشجيرات المقصوصة أشكالاً،
الطائرات،
لافتات التحذير والاتجاهات والإرشادات،
المجيب الآلي
للمطاعم،
والمكاتب،
والباصات،
ولكن،
حين ترجع آخر الليل،
وتغلق الباب،
لا شيء يتغير،
صمت مطبق،
صمت هائل.

صدر من سلسلة «**شهادات سورية**»، بمساعدة من جمعية «**مبادرة من أجل سورية جديدة**» ـ باريس، الكتب التالية:

1. موزاييك الحصار، عبد الوهاب عزّاوي.
2. إلى ابنتي، هنادي زحلوط.
3. بين الإله المفقود والجسد المستعاد، نبراس شحيّد.
4. كَمَن يشهد موته، محمد ديبو.
5. حكايات من هذا الزمن، دلير يوسف.
6. لم أتمدد يوماً على سكة قطار، أحمد باشا.
7. مزهرية من مجزرة، مصطفى تاج الدين الموسى.
8. غرفة تطل على الحرب، إيديت بوفييه.
9. إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى، عمرو كيلاني.

اللغة شهادة أيضا، ومجازاتها وثائق.
وفي زمن التغيير تسلس اللغة قيادها لأولئك الذين "يتوالدون من اشتهاء الذات في المرآة يوما أن تكون".
تنهض الكلمة ضد ثبات اللون، ويخلع القول عن مفرداته وحدانية اللفظ. فتندرج القصيدة نغماً في الموسيقى العظيمة من مقام "لا" الكبير.

بيت المواطن
للنشر والتوزيع